انتصار غزّة: حدَثٌ، وَقفةٌ، عِبرةٌ ودُروسٌ

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 9 محرّم 1434هـ الموافق لـ 23 نوفمبر 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع :

انتصار غزّة: حدَثٌ، وَقفةٌ، عِبرةٌ ودُروسٌ

قال المولى تبارك وتعالى :

" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴿1﴾ " سورة الإسراء .

لقد وصلت صواريخ المسلمين إلى القدس الشّرقيّة ، وهذا علامةٌ على نصرٍ آتٍ.

إخوتي الكرام ،

كلّكم رأى وسمع عن العدوان اليهودي على ديار الإسلام والمسلمين في غزّة ، وهذا اليوم هو يوم مشهودٌ ، لأنّه لم يُطلق رصاصةً واحدةً على اسرائيل منذ 1948م ، لكن أن تُدَكَّ اسرائيل وتل أبيب وبئر السّبع وأشكول وإيلات بالصّواريخ وبأكثر من 1570 صاروخ فهذه سابقةٌ لم نسمع بها من قبل . ويُقتَل 21 يهودي جلّهم جنودٌ وضبّاطٌ. 200 صاروخ كلّ يومٍ على اسرائيل . واعتبر إعلام اسرائيل أنّها انهزمت ورفعت الرّاية البيضاء أمام الفلسطينيّين في غزّة .

عاش اليهود الجبناء الخوف والرّعب الّذي من عادتهم أن يدخلوه في قلوب المسلمين .

وراح قادتهم ووزراؤهم يختبئون في الملاجئ مع شعوبهم :

" لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ . . . ﴿14﴾ " سورة الحشر.

وانتقلت المعركة إلى اسرائيل وتل أبيب ، ولقد خشيت اسرائيل من أن تتكبّد خسائر فادحة ، ولماذا لم تهاجم برّيًّا؟.

علمت اسرائيل هذا الأسبوع أنّ دخول غزّة ممنوعًا ، وأصبحت قبّعتها الحديديّة قبّعةً ورقيّةً .

لا بدّ من وقفةٍ لما حدث ، ولا بدّ من استخلاص الدّروس .

– في نكسة 1967م شنّ الطّيران الإسرائيلي هجومًا جويًّا دمّر به سلاح الطّيران لكلٍّ من مصر وسوريا والأردن .

وكان قتلى العرب 25 ألف ، والجرحى 45 ألف ، والأسرى 5000 ، وخسائر عتاد الحرب 80% ، واحتلّت اسرائيل 68589كلم^2 أخذت سيناء والجولان الضّفّة الغربيّة بالقدس الشّرقيّة وقطاع غزّة .

– في 1973م دخل العرب في حرب مع اسرائيل ، وكادت الحرب أن تنتهي بانتصارٍ عظيمٍ للعرب لولا الخيانات من سادات مصر الّذي حرص أن لا يسيطر على سيناء رغم توفّر الظّروف ، حتّى أنّ سعد الدّين الشّاذلي احتجّ واعتبر أنّه كانت خيانة ، باتّفاق السّادات مع الأمريكان وانقلب النّصر إلى لا شيء .

فما الّذي حصل هذا الأسبوع لتُضْرَبَ اسرائيل في عقر دارها ويدخل قلبها وأركانها الرّعب ، فلا تغامر بالدّخول برّيًّا إلى غزّة ، رغم أنّ مدنها دُكّت بأكثر من 1570 صاروخ ، وكانت خسائرها بـــ 21 قتيل ، و 700جريح، و 720بناية ، و240 سيّارة ، و 30 مرافق ومؤسّسات زراعيّة .

قال تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿14﴾ " سورة الصّف .

القيادة في غزّة شعارها الإسلام ، شعارها تحرير القدس والأقصى ، متمسّكةٌ بدينها ومتوكّلةٌ على ربّها ، رافعةٌ شعار:

" لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ".

– في 67 و 73 رفعنا شعار العروبة والقوميّة ، في حين يخون السّادات سوريا ويريد أن تُدمَّر .

– الرّاية خلال الأسبوع الماضي جليّة واضحة لنصرة التّوحيد والإسلام .

– الرّاية في 67 و 73 غير واضحة بل هي رايةٌ عميّةٌ ، القوميّة العربيّة .

قال عليه الصّلاة والسّلام :

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، ومن قاتل تحت راية عميّة فمات ، فميتته ميتة جاهليّة) رواه مسلم .

أي لا يجوز القتال تحت راية عميّة ، كراية القوميّة العربيّة أو راية علمانيّة .

والقوميّون لم يدخلوا معاركهم مع اسرائيل إلاّ بخياناتٍ وتواطؤٍ مع الشّرق والغرب ، فولاؤهم إمّا لشرقٍ أو لغربٍ، وقد اتّفقوا أن لا حرب ولا عدوان على اسرائيل ، وشبههم الباطنيّون .

ولكم مثال من الباطنيّين في التّاريخ الإسلامي ، فهؤلاء لم يغتالوا زعيمًا واحدًا صليبيًّا ، وإنّما اغتالوا الأمراء المسلمين ، وأرادوا اغتيال صلاح الدّين أكثر من مرّة .

وكذلك حصل للعرب ، مرّت عليهم أجيالاً لم يقتلوا جنديًّا اسرائيليًّا واحدًا ، ولكم في بشّار خير المثال ، لم يطلق رصاصةً واحدةً على اسرائيل ، ويملك الصّواريخ والطّائرات ، ويدكّ شعبه ليلاً نهارًا ، ويقتل 200 كلّ يومٍ ، ووجد من يقاتل معه علويّة .

روى مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي ، قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

(من قُتِلَ تحت رايةٍ عَمِيَّةٍ ، يدعو عصبيّةً أو ينصر عصبيّةً ، فَقِتْلَتُه جاهليّةٌ) .

ولقد أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهذه من نبوءاته – صلّى الله عليه وسلّم – ، عن طائفةٍ مؤمنةٍ ، تُظهر الدّين ولا تُبالي بأحدٍ ولو خذلها من خدلها ، كما يحدث للمظلومين في سوريا ، ويحدث لأهل غزّة ، لأنّ الله ناصِرُهم .

روى الطّبراني من حديث مُرّة بن كعب البهزي رضي الله عنه ، أنّه **سمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول :**

(لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحقّ ظاهرين على من ناوأهم ، وهم كالإناء بين الأكلة ، حتّى يأتي أمر الله وهم كذلك ، قلنا : (يا رسول الله ، وأين هم ؟) ، قال : (بأكناف بيت المقدس)) أخرجه الطّبراني .

و من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال :

(لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرّهم خذلان من خذلهم ، { أي لا يضرّهم المتفرّجون والمتآمرون والمتخاذلون والجبناء والحاقدين } **ظاهرين على الحقّ إلى أن تقوم السّاعة) ، أخرجه أبو يعلى والطّبراني وابن عديّ ، وأصل الحديث في الصحيحين من حديث معاوية والمغيرة .**

وقفت كثيرًا على الصّفعة الّتي أخذها اليهود الملاعين على يد فِتيةٍ آمنوا وزادهم الله هدى ، قلت :

كيف فعل هؤلاء ما عجزت عنه جميع جيوش العرب طيلة عقودٍ من الزّمن ؟ ،

وثمّ قرأت هذا الحديث ففهمت العِلّة والسّبب ، فهم طائفةٌ على الحقّ على منوال الكتاب والسُّنّة ،

تلك هي قوتهم ، ذاك هو رصيدهم في هذه الحرب ، لا تنسوا أنّهم واجهوا دولة تملك الطّائرات وهم لا يملكونها ، تملك القنبلة الذّريّة وهم لا يملكونها ، ورغم ذلك دحروها ، دولةٌ كلّ أوربّا وأمريكا معها ، وهم يجاهدون منذ عقود .

حينما تعرف أنّ غزّة حفّظت في 3 أشهر في مخيمات تحفيظ القرآن وخرّجت 1300حافظ لكتاب الله وحافظة لكتاب الله ، تدرك كيف كانت لفتيان غزّة الشّجاعة والإقدام ، وهم يعقدون النّيّة على النّصر أو الشّهادة ولا يبالون ، إنّهم فتية تربّوا في أحضان كتاب الله تعالى ، تربّوا على مائدة سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، بحيث تخرّج عام 2010م حوالي 40 ألف حافظ للقرآن الكريم ، والعام الّذي قبله 20 ألف حافظ لكتاب الله ،

هل فهمتم لماذا ضربوا تل أبيب بالصّواريخ ولم يخشوهم رغم ما تملك اسرائيل من قوّة ؟

أقول ما تسمعون وأستفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله ،

إخوتي الكرام ،

هذا هو الإيمان ، هذا هو اليقين في الله ، تلك عقيدة قوله تعالى :

" وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿170﴾ " سورة آل عمران .

تربّوا على هذه الآية فكيف يخافون اليهود .

تربّوا على قوله تعالى :

" . . . وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾ " سورة الحجّ .

تربوا على سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ،

أخرج التّرمذي بسندٍ حسنٍ وقال فيه الأرنؤوط رواه ابن ماجة واسناده حسن ، عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه **عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال :**

(للشّهيد عند الله سبع خصال :

1- يغفر له في أوّل دفعةٍ من دمه .

2- ويُرى مقعده من الجنّة .

3- ويُحلّى حُلّة الإيمان .

4- ويُجار من عذاب القبر .

5- ويُؤمَن من الفزع الأكبر .

6- ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدّنيا وما فيها .

ويُزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه) .

و الملاحظ إخوتي الكرام ،

في هذه المعركة ثلاثة أسسٍ كانت من أسباب النّصر ، والّتي يجب أن يأخذ بها المسلمون في كلّ معاركهم :

- أولاها أنّ الرّاية رايةٌ إسلاميةٌ ، وهي راية :

" لا إله إلا الله محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "

(لا قوميّة ولا مصلحيّة ولا علمانيّة) . (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .

- الأساس الثّاني : أنّ هؤلاء الفتية تربّوا على مائدة الكتاب والسّنّة وسيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم .

دلّ على ذلك حفظهم لكتاب الله تعالى ، وتحفيظ أبنائهم له ، وتعليمهم وتربيتهم عليه :

" وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ . . . ﴿103﴾ " سورة آل عمران .

- والأساس الثّالث : إعداد العُدّة ، فقد لاحظنا أنّهم أعدّوا ما استطاعوا صواريخ أكثر من 1570 ، وشجاعة وتكتيك ، وبقوا يدكّون اسرائيل حتّى قبل ساعة من الهدنة ، أي أنّ اسرائيل لم تستطع القضاء على قدراتهم ، ملتزمين قوله تعالى :

" وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ . . . ﴿60﴾ " سورة الأنفال .

فإن دخل المسلمون معاركهم بهذه الأسس لا ينهزموا بإذن الله تبارك وتعالى .

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين ، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،

اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين ، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت ، نستغفرك ونتوب إليك.